الحركة الإصلاحية داخل المدارس التعليمية العربية بتلمسان

1936–1954م.

عمر جمال الدين دحماني.

طالب دكتورالية: قسم العلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس.

Abstract _The emergence of the reform movement in the Arab education schools Tlemcen 1936-1954

This subject highlights the fundamental basis of the Association of Algerian Muslim Scholars, representing the cultural and social platform for the reform movement in the company of the general community Algerian and private Tlemcenian, Arab education schools have proliferated in the Tlemcen region, and rallied the public about the reform movement advocated by Cheikh Bachir Ibrahimi in his frequent visits to the city of Tlemcen and its suburbs.

مقدمة:

كان لظهور الحركة الإصلاحية بالجزائر الأثر الواضح على سير عملية النهضة الثقافية الأصيلة، وبروز الوعي الوطني المتمثل في النشاط الثقافي والاجتماعي والديني، فلطالما نادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الاهتمام بالفكر وتوظيفه في بناء الإصلاح المجتمعي، هذا الإصلاح الذي نشاهده فيما بعد يتحول إلى حركة إصلاحية ومن خلالها استطاعت الجمعية أن تنشر أفكارها الرامية إلى التجديد الفكري الثقافي والحفاظ على المواطنة والهوية الوطنية، وهذا لا يتأتى إلا إذا أنشئت في كل منطقة مدرسة يدعى من خلالها إلى هذا الإصلاح، وهذا ما نلاحظه مثلا في تلمسان أين قامت الجمعية ببناء مدارس تعليمية وعلى رأسها مدرسة دار الحديث التي طالما كانت منارة للعلم والعلماء.

وعليه فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استطاعت بواسطة هذه المدارس أن تبث الوعي الفكري بمدينة تلمسان، حيث ساعدت هذه المدارس بشكل كبير في ذلك فقد جمعت حولها العديد من الطلبة وتقديم الدروس لهم، فهذا كان أول خطو ة قامت داخل هذه المدارس، ثم نلاحظ انتقالها إلى تعليم آخر وهو غرس الروح الوطنية والتشبع بالقيم الأخلاقية والمحافظة على الهوية الوطنية، سعيا إلى إصلاح المجتمع.

1– التعريف بتاريخية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

عرفت مرحلة القرن العشرين نهضة ثقافية وسياسية بالنسبة للجزائريين، فعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918 تشكلت بوادر الوعي الإصلاحي وبروز نخبة من الجزائريين بمختلف اتجاهاتها، من نواب، مصلحين، عمال مهاجرين، ونخب اجتماعية وثقافية ومن هذا الزخم انبعثت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نادت بضرورة

المحافظة على الهوية الوطنية وذلك من خلال حركتها الإصلاحية، فلقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس[1] هو صاحب فكرة تأسيس جمعية دينية "جمعية الإخاء العلمي" حيث قال : "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله والرسول. إذا كانت لهم قوة وكانت لهم جماعة منظمة تفكر و تدبر و تشاور و تتآزر و تنهض لجلب المصلحة ودفع المضرة متساندة في العمل عن فكر و عزيمة" .

ولأن علماء الجزائر دعوا للعودة إلى ينابيع الإسلام الصافية وإلى إتباع سلوك السلف الصالح ومحاربة الجمود الفكري والبدع والخرافات ومحاربة الجهل والظلم والاستغلال من طرف الاستعمار الفرنسي الجاثم على الجزائر منذ 1830.[2]

ففي اليوم الخامس من ماي 1931 عقد اجتماع في شكل جمعية عامة بنادي الترقي لمناقشة قانون الجمعية الأساسي والذي كان قد حضَّره الشيخ الإبراهيمي[3] وأعلن عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة رسمية، هذه الجمعية التي جاء تعريفها مفصل في جريدة البصائر :« إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها وأعمالها، جزائرية في مدارها وأوضاعها، علمية في مبدئها وغاياتها، أسست لغرض شريف، تستدعيه ضرورة هذا الوطن وطبيعة أهله، ويستلزمه تاريخهم، الممتد في القدم إلى قرون وأجيال، وهذا الغرض هو تعليم الدين ولغة العرب التي هي لسانه المعبر عن حقائقه الكبار في المساجد التي هي بيوت الله وللصغار في المدارس على وفق أنظمة لا تصادم قانونا جاريا ولا تزاحم نظاما رسميا ولا تضر مصلحة أحد ولا تسيء إلى سمعة أحد، فجميع أعمالها دائرة على الدين، والدين عقيدة، اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها، وعلى التعليم والتعليم مهنة اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها وإكبار أهلها[4]."

وقد تم انتخاب مجلسها الإداري وانتخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية في غيابه [5]. وأنتخب الشيخ البشير الإبراهيمي نائبا له و كان مجلس الجمعية الإداري يتكون من:[6]

الاسم واللقب	الوظيفة
الشيخ عبد الحميد بن باديس	رئيسا
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	نائبا للرئيس
محمد الأمين العمودي	كاتبا عاما
الطيب العقبي	نائب الكاتب العام
مبارك الميلي	أمين المال
إبراهيم غموظ	نائب أمين المال
مولاي بن الشريف	

الطيب المهاجي	مستشارا
السعيد ليجيري	
حسن الطرابلسي	مستشارا
عبد القادر القاسمي	
محمد الفضيل لورتيلاني	مستشارا

وقد لخص رئيس الجمعية مبادئها كالآتي:

العروبة، الإسلام، العلم، الفضيلة، واتخذت الجمعية شعارا لها هو: "الجزائر وطننا، الإسلام ديننا، العربية لغتنا".[7]

وبالنسبة لأهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فقد ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أنها جاءت لخدمة الإسلام بإصلاح عقائده وتوضيح حقائقه وإحياء لآدابه وإحياء اللغة العربية وتاريخها، كما تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا[8]، بينما يرى البعض أنها مرتبطة بالنشاط السياسي ومحاربة الاستعمار الفرنسي وتكوين الدولة الجزائرية ذات القيم الإسلامية[9].

والمتأمل لما سطره الإمام ابن باديس في مقالة دعوة الجمعية وأصولها يدرك ما تهدف إليه جمعية العلماء المسلمين، فمن أهدافها:

– المحافظة على الدين الإسلامي[10] في الأمة.

–تذكير المسلمين ودعوتهم إلى العلم والعمل بكتاب الله وسنة نبيهم وذلك من خلال المحاضرات والمواعظ والدروس[11].

–إحياء اللغة العربية فهي أساس إصلاح الأمة[12]، فلقد أدركت الجمعية خطر الجهل بها المؤدي إلى ضعف الوازع الديني في النفوس، إذ هي لغة قرآنهم وسنة نبيهم.

– تمجيد التاريخ الإسلامي.

– تثقيف العقول ومحاربة الجهل.

– التنشئة الإيمانية السليمة للجيل الصاعد.

– تسليم الأوقاف والمساجد لأهلها.

– الدفاع عن الهوية الوطنية الجزائرية.

– الهدف السياسي[13] و المتمثل في التدرج في العمل في المقاومة حتى ينال الاستقلال[14] الكامل التام في الدين واللغة والأرض والشخصية والهوية.

2–ظهور الحركة الإصلاحية بتلمسان 1931م:

لم ينطلق النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان من فراغ ، فقد سبقه نشاط تعليمي قادته مجموعة من الشخصيات، التي عملت على نشر العلم والوعي الديني في أوساط المجتمع، واعتمدت في ذلك على الجانب التربوي[15] فأنشأت المدارس الحرة التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية لأنهما العنصران الأساسيان لبناء شخصية الإنسان الجزائري وربط ماضيه بحاضره، وغرس الروح الوطنية فيه.كما اعتمدت على الجانب الثقافي والسياسي فأسست النوادي والجمعيات وتدفع به قدما إلى الأمام نحو التحرر الفكري والسياسي[16].

إن هذه المدارس والشخصيات والنوادي تعبر عن بذور الإصلاح الديني والاجتماعي بتلمسان قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فالمدارس ساهمت في نشر الوعي الديني والتربوي، كما ركزت النوادي والجمعية والمسارح على نشر الوعي الثقافي.[17]

وكان للشخصيات البارزة من أمثال المفتي شلبي والأمير خالد الدور الهام في نشر الوعي السياسي لدى الشعب بتلمسان، فلقد كانت هذه الحركات تمثل الإرهاصات الأولى لقيام حملة إصلاحية وسياسية شاملة بهذه المدينة.

كان للزيارات المتكررة للشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى تلمسان أثرها الكبير في توجيه الأحداث وصناعة التاريخ الإصلاحي فيها فقد زارها سنة 1923م من أجل التعارف والبحث عن الرجال المخلصين الذين يحملون عبء الدعوة إلى الإصلاح بهذه المدينة. وفي يوم 28 ابريل 1927م زارها للمرة الثانية وتعرف على الشيخ مولاي الحسن البغدادي أحد رجال الجمعية السنوسية التي كان يرأسها الشيخ مرزوق، وفي سنة 1931م جاء الشيخ عبد الحميد ابن باديس لتلمسان بدعوة من الجمعية السنوسية الخيرية، فكان إقناعه أن رحبت الجمعية السنوسية بفكرة الإصلاح التي كانت هي الحل الوحيد للقضاء على الجهل ومقاومة الاستعمار الفرنسي.[18]

3– تطور الحركة الإصلاحية داخل المدارس التعليمية العربية بتلمسان1936–1954:

انصب عمل الجمعية بعدما أضحت تراعي مصالح الجزائريين من حفظ الهوية الوطنية إلى النهوض بالأمة إلى رفع أعلام العلم، أن تقوم بتفعيل عملها على أرض الواقع حتى يكون أكثر نفعا للشعب الجزائري وأبقى أثرا للجيل الصاعد، فركزت في هذا الإطار على بناء المدارس والمساجد، وفتح النوادي الثقافية في المدن والقرى لتستقبل الطلاب من كل الأعمار، حيث يتعلمون في فضائها ، اللغة العربية، ويتربون تربية مرتبطة بالدين الإسلامي وحب الوطن. وفي هذا السياق يمكن أن نعدد ونعرف في الوقن نفسه بالمدارس التعليمية العربية بمنطقة تلمسان، كالآتي:

– مدرسة دار الحديث: تم بناء مدرسة دار الحديث تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي في 17 فبراير 1936م، فكانت مساهمة فعالة من طرف السكان ومن مختلف الفئات الاجتماعية، ناهيك عن الجمعيات الدينية الأخرى فقد كان لها وزنها في إنجاح وسير عملية البناء والتشييد، وفي يوم 27 سبتمبر 1937م افتتحت مدرسة دار الحديث بحضور جمهور غفير من الجزائريين (علماء، شيوخ، طلبة، رجال، نساء، أطفال ...). كانت تسمية دار الحديث من

طرف الشيخ البشير الإبراهيمي تيمنا بدار الحديث الأشرفية بسوريا حيث كان يدرس فيها، لقد كانت لهذه المدرسة طابعها الحضاري الإسلامي و العربي، وتشتمل المدرسة على مسجد للصلاة قاعة المحاضرات وخشبة المسرح ومكتب إدارة المدرسة وخمسة أقسام للدراسة، ومنها انبثقت شعلة الإصلاح في تلمسان والتوعية بحب الوطن[19].

– مدرسة التربية والتعليم بالرمشي:

تأسست هذه المدرسة سنة 1943 تحت إشراف الشيخ الهبري المجاوي الذي كان رئيسا لها، فقد كان يشرف على جميع نشاطاتها، اهتمت المدرسة بالإصلاح الفكري فقدمت دروسا في الوعظ والإرشاد والتوعية الاجتماعية والثقافية[20]، أغلقت المدرسة أثناء الثورة التحريرية وهي الآن عبارة عن مسكن اجتماعي[21].

– مدرسة التربية والتعليم بمغنية:

تأسست هذه المدرسة سنة 1943 بعدما قام السيد أرحمان بن عمر بفتح محل لتعليم التلاميذ، ولكن بعد مرور سنوات تزايد عدد التلاميذ فاستدعى ذلك توسعت المدرسة، ففي سنة 1951 شهدت المدرسة بناء موسع تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي وبعض من المرشدين والمعلمين، فتواصل التعليم بها بالرغم من المضايقات الاستعمارية، أغلقت المدرسة سنة 1956 وهي حاليا عبارة عن مدرسة سميت على الشيخ عبد الحميد بن باديس.

– مدرسة سبدو:

استأجرت الجمعية سنة 1945 محلا للصلاة وإقامة دروس الوعظ والإرشاد بمدينة سبدو من أجل نشر الوعي الثقافي والاجتماعي، ومحاربة الجهل والأمية، وقد أشرف عليها كل من الشيخ محمد بن حلوش والحاج أحمد شيخاوي وابنه عبد القادر شيخاوي، فقد كان هذا المح ل هو النواة الأولى التي جمعت الكبار والصغار من أجل التعليم العربي الحر، ومع ازدياد الحاجة إلى التعليم اشترت الجمعية قطعة أرض وأقامت عليها مسجدا وقسمين للتعليم، وتم افتتاحها يوم 27 سبتمبر 1953 على يد الشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ السعيد الزموشي والشيخ عبد الوهاب بن منصور . تم غلق المدرسة سنة 1956 من قبل الإدارة الاستعمارية[22].

– مدرسة التربية والتعليم بالغزوات:

فتحت جمعية العلماء المسلمين سنة 1937 مدرسة صغيرة عبارة عن قسم واحد لتدرس فيه جماعة من أبناء المصلحين[23]، وفي سنة 1945 شرع المصلحون في بناء المدرسة وعلى رأسهم الشيخ محمد القباطي، حيث تكون البناء من قسمين ومسجدا وكان الافتتاح يوم 26 سبتمبر 1948 حضرته وفود وجمعيات تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي. انطلقت الحركة الإصلاحية بالمسجد والمدرسة بتوعية المسلمين بواجبهم نحو إسلامهم وعروبتهم ووطنهم، وقد بلغ عدد التلاميذ حوالي 200 تلميذ، أغلقت يوم 09 سبتمبر 1957 من طرف الإدارة الاستعمارية[24].

– مدرسة التعليم العربي بأولاد ميمون:

كانت البداية بفتح محل صغير أمام المطحنة القديمة حيث كانت اللقاءات تتكرر والعدد يتزايد خصوصا بعد حضور الشيخ الأخضر القباطي كمعلم فيها، ولكن تم غلق هذا المحل من طرف الإدارة الاستعمارية، وفي أوائل سنة 1948 تم فتح مدرسة للتعليم وسميت بمدرسة التعليم العربي سجلت في عقد رسمي تحت رقم 262، احتوت على قسمين للتدريس وقاعة كبيرة للصلاة، حضر هذا الافتتاح كل من الشيخ السعيد الزموشي والشيخ الأخضر القباطي والشيخ بن عودة علي والشيخ الصديق. انطلقت الحركة الإصلاحية في المدرسة بتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي وتوعيتهم بالواجب الوطني والهوية الوطنية، أغلقت في بدايات الثورة التحريرية[25].

– مدرسة عبد المؤمن بن علي بندرومة:

في سنة 1948 اشترت الجمعية الإصلاحية تحت رعاية رئيسها الحاج محمد بن رحال إسطبلا كان يملكه الأخوان مصطفى والطاهر بن إبراهيم وبنيت عليه مدرسة ومسجدا، وقد تم افتتاح المدرسة يوم 11 سبتمبر 1949 بحضور الشيخ البشير الإبراهيمي، وأطلق عليها اسم " مدرسة عبد المؤمن بن علي "، ساهمت هذه المدرسة بشكل كبير في الدور الإصلاحي الذي شهدته مدينة ندرومة والذي تمثل أساسا في إحياء اللغة العربية وتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وإبراز الهوية الوطنية والتوعية الثقافية[26]. أغلقت المدرسة شهر ماي سنة 1956 وتم اعتقال معلميها.

– مدرسة دار الآداب بالحنايا:

تم استئجار محلا من طرف الجمعية لتعليم الأبناء فقد كان مكون من قسم واحد فاستدعى هذا أن اشترت محلا آخر وبدأت في بناء المسجد والمدرسة سنة 1948، فتم بناء ثلاثة أقسام ومسجد ومكتبين أحدهما للشعبة والجمعية والآخر للمدرسة. تم افتتاح المدرسة يوم 17 جويلية 1950 وحضره وفود من مدارس الغرب الجزائري وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي الذي ألقى خطابا تعرض فيه إلى ماضي مدينة الحنايا وحاضره [27]، وحث على البذل والعطاء لإنجاح المشروع، وهذا ما واصلت عليه المدرسة في مسار الحركة الإصلاحية طيلة فترة من نشاطها[28].

– مدرسة أولاد سيدي الحاج:

بدأ التخطيط لبناء هذه المدرسة منذ سنة 1949 وذلك لما رأوه من سياسة التجهيل التي فرضتها الإدارة الاستعمارية من جهة والرغبة في التعلم ونشر اللغة العربية من جهة أخرى، فبدأ العمل سنة 1951 في ظروف صعبة وشديدة أقامها الاستعمار الفرنسي حولها، وبعد سنة تقريبا أصبحت المدرسة جاهزة بقسمين للدراسة ومسجد للصلاة ومسكن للمدير، وتم الافتتاح يوم 25 سبتمبر 1952 إذ حضر أهل الإصلاح من كامل التراب الوطني مع حضور الشيخ الياجوري والشيخ السعيد الزموشي والشيخ مصباح، فقد قامت هذه المدرسة على نشر الوعي الوطني وكذا تعليم اللغة العربية وعلوم أخرى وهذا كله مواصلة للحركة الإصلاحية بالمنطقة، أغلقت المدرسة سنة 1955 وإلقاء القبض على مديرها ونقله إلى السجن، وتحولت إلى مدرسة فرنسية[29].

– مدرسة دار القرآن بعين غرابة:

شرع في بناء هذه المدرسة سنة 1949 وهي تضم قسمين للتعليم ومسكن للمعلمين، وكان افتتاحها الرسمي يوم 28 سبتمبر 1952 بحضور الشيخ السعيد الزموشي والشيخ عبد الوهاب بن منصور والشيخ محمد الصالح رمضان، وقد تحدث الشيخ السعيد الزموشي عن أعمال الجمعية في بناء المدارس ونشر الإسلام والعربية والهوية الوطنية. شرعت المدرسة في نشاطها الإصلاحي والتوعوي منذ تأسيسها إلى أن أغلقت سنة 1956 وألقي القبض على الشيخ مصباح حويذق وحولت إلى مدرسة فرنسية.

– مدرسة عائشة:

هي ملحقة تابعة لمدرسة دار الحديث وهذا لكون أنها تقع بمحاذاة دار الحديث، وقد تم تدشين هذه المدرسة من قبل شيخ جمعية العلماء وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي سنة 1953، بلغ عدد أقسامها تسعة أقسام شهدت كلها حركة إصلاحية كبيرة، أضف إلى ذلك ملحقة المنصورة، وملحقة زاوية مولاي عبد القادر، وملحقة مدرسة متشكانة التي احتوت على 16 قسما[30]، استمرت مدرسة عائشة في التعليم إلى حين اندلا ع الثورة التحريرية 1954 فأغلقت من طرف الإدارة الاستعمارية[31].

– مدرسة التربية والتعليم ببوحلو:

تأسست هذه المدرسة يوم 10 ماي 1953 بحضور الشيخ السعيد الزموشي الذي ألقى خطابا حث فيه على البذل والعطاء وتعليم الشباب والأبناء، وقد تضمنت هذه المدرسة قسم واحد يدرس فيه القرآن الكريم واللغة العربية.

– مدرسة التربية والتعليم بأولاد سيدي خالد:

افتتحت هذه المدرسة شهر سبتمبر 1953 بحضور الشيخ العربي التبسي ومسؤولي الجمعية على مستوى الجهة الغربية وجمهور من المدعوين وسكان عرش بني هديل، واشتملت المدرسة على قسمين كبيرين ومكان إقامة المعلم ومدير المدرسة، وقد سميت " الجمعية الإسلامية لتعليم الأطفال "، انطلقت المدرسة في تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتقديم دروس الوعظ والإرشاد وتصحيح المفاهيم الدينية، أغلقت المدرسة سنة 1955 من طرف الإدارة الاستعمارية وأزيلت جدرانها بعد النهب الذي تعرضت له.

– مدرسة التربية والتعليم بصبرة:

افتتحت هذه المدرسة يوم 25 أبريل 1954 بحضور الشيخ السعيد الزموشي والأستاذ عبد الوهاب بن منصور، وقد اشتملت هذه المدرسة على ثلاثة أقسام وأزيد من 200 تلميذ وتلميذة، وهذا كله بإشراف الأستاذ العربي محمد الرميلي المؤسس الأول لها، قامت المدرسة على تعليم المناهج العلمية والإصلاحية فتخرج منها العديد من الطلبة الأكفاء الحاملين لواء الفكر الإصلاحي.

– مدرسة أمّ العلو:

تم بناء هذه المدرسة بقرية أمّ العلو لتدريس القرآن الكريم بعد أن اشترت الجمعية قطعة أرض من مالكيها طبقا للعقد الموقع يوم 02 سبتمبر 1954 لكن مع الأسف تم هدم هذه المدرسة بعد الإهمال الذي طالها.

– مدرسة التربية والتعليم بأولاد عدّو:

شهدت هذه المدرسة نهضة ثقافية وإصلاحية بعد أن تشبع أهلها بمبادئ الحركة الإصلاحية على يد الشيخ البشير الإبراهيمي وأمثال محمد بن محمد الهذلي الذي قام بالدور الإرشادي، اشتملت هذه المدرسة على مسجد صغير اتخذت منه مدرسة للتعليم وتقديم دروس الوعظ والإرشاد[32].

3–مبادئ الفكرة الإصلاحية داخل مدرسة التعليم العربي بتلمسان:

ركزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بداية تأسيسها لهذه المدارس على المنهج التعليمي الذي يقوم على بثّ الوعي في أوساط المجتمع الجزائري [33]، هذا الوعي الذي أخذ شعار الوطن رمزا له، فلقد تشبع منه الشعب الجزائري وكان المنهل الرئيسي لهم، وهنا نرى بأن مدرسة التعليم العربي هيأت لمثل هذه الأفكار ولاسيما الأفكار الإصلاحية، هذه الأخيرة التي لقيت ترحيبا وانتشارا واسعا، وخصوصا بتلمسان حيث أصبحت تقف على مبدئين أساسيين وهما

* المبدأ الاجتماعي:

والذي أكد على عامل المجتمع أي مراعاة أحوال الناس وسيرهم الاجتماعية [34]، من الأخلاق والقيم المثلى، فلقد جاءت جل المحاضرات التعليمية داخل المدرسة تحث على هذا النوع من الأخلاق، وهذا ما كان بمدرسة عبد المؤمن بن علي بندرومة حيث رفعت شعار " العلم والمحبة والتسامح " وكل هذا مستنبط من أول درس ألقاه الشيخ عبد الحميد بن باديس في زيارته لندرومة، كما نشاهد هذا في الدروس والخطب التي ألقيت بمدرسة التربية والتعليم بالغزوات حيث حثت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما نلاحظه كذلك بمدرسة دار الآداب بالحنايا التي جعلت بعد افتتاحية دروسها تبدأ وتقوم على تهذيب الأخلاق [35]، وهذا ما يلاحظ في باقي المدارس الأخرى، إذن من هنا نرى بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ارتكزت على هذا الأساس المتين وتقويته يعني هو تقوية كل الهياكل التي تشكل البنية الاجتماعية.

* المبدأ الديني:

لقد لقي التعليم الديني الإسلامي حظه داخل هذه المدارس وأعتبر أحد أهم الدروس الموجهة للشباب الجزائري[36]، وأكثر من ذلك فهو يمثل مبدأ أساسي ا يُدرس ويُعمل بمناهجه، فمعظم المدارس كان يقوم فيها بحفظ القرآن الكريم وإلقاء الموعظة والإرشاد[37]، وبالموازاة فإن الاستعمار الفرنسي حارب الدين الإسلامي وضيق على معلميه

بغلق الزوايا والمدارس التعليمية الدينية [38]، محاولة منه طمس كل أشكال الهوية الوطنية. وفي هذا المضمار، شغل موضوع إيصال رسائل الإصلاح معظم معلمي المدارس التعليمية العربية واعتبروها مسؤولية كبيرة وحمل ثقيل، خصوصا في ظل الظروف الاستعمارية التي كانت تمر بها الجزائر، فلقد شهدت المدارس التعليمية العربية أشكال من التعسف الاستعماري كالغلق المتكرر والتضييق والمراقبة المستمرة [39]، أضف إلى ذلك الاعتقالات المتكررة للمعلمين بهذه المدارس، كل هذا صعّب من مهام الحركة الإصلاحية.

وبالرغم من ذلك فإن المدرسين استطاعوا أن يبلغوا هذه الرسالة الإصلاحية إلى جيل الشباب وذلك عبر عدة طرق، فالمدرسة بذاتها كانت تقوم على عدة دروس فمن القواعد العربية إلى النحو إلى الصرف، ثم إلى حفظ القرآن الكريم، إلى الدروس التاريخية الإسلامية، فالتعليم الأخلاقي، إلى تعليم الحساب والرياضيات، كل هذا سهّل للمدرس من أنه يبث الفكر الإصلاحي في كل هذه الدروس التعليمية[40].

أضف إلى ذلك البعد الثقافي الذي امتاز به المعلم ون داخل هذه المدارس، فمعرفتهم الشاملة لأحوال المجتمع جعلهم يتفننون في إيصال الفكرة الإصلاحية لكل أفراد المجتمع، معتمدين بذلك على منهجية حكيمة يراعى فيها الإصلاح التثقيفي الذي يهدف إلى تعليم الشباب المبادئ الأولى للثقافة الاجتماعية كتعليم الحروف العربية والأناشيد الوطنية، وتعليم أساسيات المجتمع، ويراعى فيها أيضا الإصلاح الفكري الذي يهدف إلى بناء الشخصية الوطنية ومراعاة للواجب الوطني، وإصلاح أحوال الناس وأفكارهم، وفي هذا الجانب أولت جمعية العلماء المسلمين اهتمامها من أجل نشر الفكر الإصلاحي على يد هؤلاء الشباب الذين سيواصلون حمل هذه الرسالة داخل المجتمع الجزائري.

الخلاصة:

لم ترتكز مهام مدارس التعليم العربي على تدريس اللغة العربية وآدابها والفقه الإسلامي والتاريخ الإسلامي للأمة، بل تعدى ذلك إلى التعليم والتربية فأصبحت بذلك مهدا يؤمه الطلبة، كما لعبت هذه المدارس دورا اجتماعيا وفكريا وثقافيا ودينيا، فتصدت للاستعمار الفرنسي ولحملاته القائمة على طمس الهوية الوطنية [41]، وذلك عن طريق التربية والتعليم بالرغم من المضايقات التي كانت تتعرض لها والمراقبة المفروضة عليها من طرف الإدارة الاستعمارية.

شكلت هذه المدارس التعليمية مركز الإشعاع العلمي والديني، نظرا لمحافظتها على الهوية والأصالة، والدور التربوي الذي تؤديه، لقد احتضنت مدارس التعليم العربي اللغة والثقافة العربية والإسلامية ونشرها عبر ربوع الوطن، فكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل والأمية التي فرضها الاحتلال الفرنسي –حيث جاء في الاحتفالية المؤوية:« ... إن المغزى الحقيقي من وراء إقامة هذه الاحتفالات، إنما هو تشييع جنازة الإسلام –» [42]، ونشر العلم والمعرفة كما عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية، وعملت على حماية الشخصية العربية الإسلامية والهوية الوطنية الجزائرية، ولعل أبرز الأدوار التي قامت بها مدارس التعليم العربي في محافظتها على الهوية الوطنية نذكر ما يلي:

– تقوية التعليم وتعزيز الانتماء الوطني.

– التعليم لأجل العمل المنتج النافع.

– ربط التعليم بالثقافة التاريخية الأصيلة.

– ترسيخ المسؤولية المجتمعية وتوضيح للمتعلمين بواجباتهم نحو المجتمع.[43]

نستنتج في الأخير أن للحركة الإصلاحية دور هام داخل الوسط الاجتماعي الجزائري، إذ مثلت ذلك الرابط المتمثل في إنتاج الوحدة الفكرية الذي احتضنته كافة المدارس التعليم العربي، التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين لتقوم بهذا الدور الكبير في ظل وجود العوائق والحواجز التي تمنع من ظهوره، فالإدارة الاستعمارية فرضت مراقبة على كل نشاطات هذه المدارس وعقوبات على جل معلميها، ولكن مع هذا كله واصلت جمعية العلماء المسلمين مشوارها القائم على الحركة الإصلاحية، وهذا ما كان واضحا بالمدارس التعليمية العربية بتلمسان التي شهدت توسعا كبيرا في كل المدينة، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على البعد الإصلاحي الذي آمنت به وحاولت إلا أن تنشره لأبنائها، لتكوين رؤى جديدة تحمل على عاتقها إحياء الهوية الوطنية من خلال غرس فكرة المواطنة، وإحياء الهوية الدينية بتعليمها وتحفيظها للقرآن الكريم، وإحياء الهوية اللغوية من خلال تعليم اللغة العربية.

الهوامش:

(1)– عبد الحميد بن مصطفي بن باديس ولد في ديسمبر 1889م من أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والمال ،تلقى تعليمه في قسنطينة ثم أكمل تعليمه بجامع الزيتونة بتونس 1908–1911م، وهو مؤسس جمعية العلماء المسلمين ينظر إلى: عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913–1940م، ط1، دار الشهاب، بيروت لبنان 1999م، ص 77–78.

(2)– عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931–1945م، ط1، دار البعث للطباعة والنشر الجزائر 1981،ص151.

(3)– محمد البشير الإبراهيمي ولد في سطيف برأس الوادي في 14 جويلية 1889م ، هاجر إلى المشرق العربي سنة 1911م أتم دراسته العليا في المدينة المنورة، عاد إلى الجزائر عام 1921م حسب الاتفاق الذي تم بينه وبين ابن باديس في وجوب نشر الإسلام واللغة العربية، ينظر إلى : أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ط1، (1929–1940)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص 09.

(4)– جريدة البصائر، العدد160 الموافق ل: 16 صفر 1358هـ –07افريل 1939م.

(5)– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات، ج2، الجزائر 1925–1954م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988، ص 180.

(6)– مجلة الشهاب ،ج5،مجلد 7، ماي 1931 قسنطينة، ص342 –344.

(7)– سهام مادن، قراءة في أدب الحركة الوطنية ابن باديس نموذجا ، حولية المؤرخ يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 06، دار الكرامة للطباعة و النشر، جويلية 2005م ،ص 254.

(8)– محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة 1963، ص 34.

(9)– عبد الكريم بو الصفصاف، المرجع السابق، ص 105.

(10)– سهام مادن، المرجع السابق ، ص 254.

(11)– بوبكر صديقي، البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة 2010،2011م ، ص 14.

(12)– سهام مادن، المرجع السابق، ص 255.

(13)– نفسه، ص 256.

(14)– عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931–1954، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1983، ص 112.

(15)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف 1907–1931–1956 وملحق، ط2، 2003،ص 3–4.

(16)– بن يونس أيت سالم، مدرسة دار الحديث بتلمسان – علماءها ودورها التعليمي و التربوي، يوم دراسي حول إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تلمسان ودور مدرسة دار الحديث في التربية و التعليم ، يوم 11 أبريل 2013م بقسم التاريخ جامعة سيدي بلعباس، (غير منشور وبدون ترقيم للصفحات).

(17)– نفسه.

(18)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص79.

(19)– بن لباد رفيقة، المدرسة القرآنية – دار الحديث بتلمسان أنموذجا، الملتقى الدولي حول الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل 18/17 أبريل 2013م ايليزي، ص 608–612.

(20)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص 271.

(21)– مقابلة شفوية مع الحاجة خيرة فندروسي، أخذت تعليمها الأولي بمدرسة الرمشي، وجرت المقابلة يوم 25 ابريل 2012 على الساعة 14:00 بمنزلها سيدي بونوار الرمشي.

(22)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص 280–285.

(23)– مقابلة شفوية مع الشيخ ميلود كرزازي، يوم 28 أوت 2012 على الساعة 10:15 بمنطقة الغزوات.

(24)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص 261–262.

(25)– محمد الهاشمي، دراسة حول مدرسة التعليم العربي بأولاد ميمون في 29 أوت 2001م، ص2–5. وينظر إلى بحثنا حول المدرسة 2012.

(26)– مقابلة شفوية مع عائلة غرناطي بمدينة ندرومة يوم 5–6 فبراير 2013، ونخص بالذكر كل من الأستاذ المجاهد غرناطي سيدي محمد والأستاذ غرناطي محمد فتوحي من كبار المهتمين بالتاريخ والتراث الشعبي لمنطقة ندرومة.

(27)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص 272.

(28)– مقابلة شفوية مع المجاهد بن حمو بوزيان، والأستاذ المجاهد مهدي عبد الرحمن، جانفي 2013 في منزلهم بمنطقة الحنايا.

(29)– مقابلة شفوية مع الأستاذ محمد الهاشمي، تلميذ مدرسة دار الحديث، يوم الجمعة 23ديسمبر 2012م بمنزله على الساعة 14:30 بمنزله في تلمسان. وينظر إلى: مدرسة أولاد سيدي الحاج قلعة الإصلاح الثانية بعد دار الحديث بتلمسان، محاضرة ألقيت بدار الحديث بمناسبة الذكرى الخمسين لافتتاحها، مقدمة من قبل الأساتذة: بومدين كروم، محمد الهاشمي، الحبيب عبد الرحيم.

(30)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص 287–288.

(31)– بن يونس أيت سالم، المرجع السابق.

(32)– خالد مرزوق والمختار بن عامر، المرجع السابق، ص 290–295.

(33)– عبد الحفيظ بورديم، شعر يؤرخ لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين– قصيدة محمد العيد آل خليفة، يوم دراسي حول إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تلمسان ودور مدرسة دار الحديث في التربية والتعليم، يوم 11 أبريل 2013م بقسم التاريخ جامعة سيدي بلعباس، (غير منشور).

(34)– جمال فار الدهب، رئيس جمعية كبار السن تلمسان، يوم 10 ديسمبر 2014 على الساعة 11:30 بمقر الجمعية تلمسان.

(35)– ينظر إلى الخطاب الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي في افتتاح جامع الحنايا ومدرستها.

(36)– مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، ط2، دار القلم دمشق 1999، ص 52.

(37)– مقابلة شفوية مع الأستاذة المجاهدة زبيدة بن ديمراد، مؤسس المدرسة العليا للبنات والثانويات ومدرسة تلمسان، يوم 11 ديسمبر 2014 على الساعة 9:30 بمنزلها تلمسان.

(38)– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص 284.

(39)– محمد الهاشمي، دراسة حول مدرسة التعليم العربي بأولاد ميمون، المرجع السابق، ص4.

(40)– محمد الهاشمي، مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان، يوم دراسي حول إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تلمسان ودور مدرسة دار الحديث في التربية و التعليم ، يوم 11 أبريل 2013م بقسم التاريخ جامعة سيدي بلعباس، (غير منشور).

(41)– تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 110.

(42)– محمد البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21، القاهرة 1966، ص 147.

(43)– بن يونس أيت سالم، المرجع السابق.